

تفسير البحر المحيط

@ 491 الذي وصى به نوحاً . ولما تقدم شيئاً : الأمر بإقامة الدين ، وتفرق الذين جاءهم العلم واختلافهم وكونهم في شك ، احتمال قوله . { فَلَاذَلِكَ } ، أن يكون إشارة إلى إقامة الدين ، أي فادع لدين الله وإقامته ، لا تحتاج إلى تقدير اللام بمعنى لأجل ، لأن دعا يتعدى باللام ، قال الشاعر : % (دعوت لما نابني مسورا % .
فلبى فلبى يدي مسورا .
%) .

واحتمل أن تكون اللام للعلة ، أي فلأجل ذلك التفرق . ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعباً ، { فَادْعُ } إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية ، { وَاسْتَقِمْ } : أي دم على الاستقامة ، وتقدم الكلام على { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْت } ، وكيفية هذا التشبيه في أواخر هود . { وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ } المختلفة الباطلة ، وأمره بأن يصرح أنه آمن بكل كتاب أنزله الله ، لأن الذين تفرقوا آمنوا ببعض . { وَأُمِرْتُ لَأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ } ، قيل : إن المعنى : وأمرت بما أمرت به لأعدل بينكم في إيصال ما أمرت به إليكم ، لا أخص شخصاً بشيء دون شخص ، فالشريعة واحدة ، والأحكام مشترك فيها . وقيل : لأعدل بينكم في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم . { لَا جُنَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ } : أي قد وضحت الحجج وقامت البراهين وأنتم محجوجون ، فلا حاجة إلى إظهار حجة بعد ذلك . { اللَّاهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ } وبينكم ، أي يوم القيامة ، فيفصل بيننا . وما يظهر في هذه الآية من المواعدة منسوخ بآية السيف .

{ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ } : أي يخاصمون في دينه ، قال ابن عباس ومجاهد : نزلت في طائفة من بني إسرائيل همت برد الناس عن الإسلام وإضلالهم ومحاجتهم ، بل قالوا : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ؛ فديننا أفضل ، فنزلت الآية في ذلك . وقيل : نزلت في قريش ، كانوا يجادلون في هذا المعنى ، ويطمعون في رد المؤمنين إلى الجاهلية . واستجيب مبني للمفعول ، فقيل : المعنى من بعدما استجاب الناس ، أي لدينه ودخلوا فيه . وقيل : من بعدما استجاب الله له ، أي لرسوله ودينه ، بان نصره يوم بدر وظهر دينه . { جُنَّةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ } أي باطلة لا ثبوت لها . ولما ذكر من يحاج في دين الإسلام ، صرح بأنه تعالى هو الذي أنزل الكتاب ، والكتاب جنس يراد به الكتب الإلهية . { وَالْمِيزَانَ } ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم : هو المعدل ؛ وعن ابن مجاهد : هو هنا الميزان

الذي بإيدي الناس ، وهذا مندرج في العدل . .

{ وَمَا يُدْرِيكَ } أيها المخاطب ، { لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ } ، ذكر على معنى البعث أو على حذف مضاف : أي لعل مجيء الساعة ؛ ولعل الساعة في موضع معمول ، وما يدريك ، وتقدم الكلام على مثل هذا في قوله في آخر الأنبياء : { وَإِنَّ أَدْرَى لَعَلَّاهُ فِتْنَةً لِّكُمْ } . .

وتوافقت هذه الجملة مع قوله : { اللَّاهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } . الساعة : يوم الحساب ، ووضع الموازين : القسط ، فكأنه قيل : أمركم بالعدل والتسوية قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم . { يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } بها بطلب وقوعها عاجلة ، لأنهم ليسوا موقنين بوقوعها ، ليبين عجز من يؤمن بها عندهم ، أي هي مما لا يقع عندهم . { أَلَا إِنَّ السَّاعَةَ يُمَارُونَهَا } ويلحون في أمر الساعة ، { لَعَلَّ ضَلَالَ بَعِيدٍ } عن الحق ، لأن البعث غير مستعبد من قدرة □ ، ودل عليه الكتاب المعجز ، فوجب الإيمان به . { اللَّاهُ لَطِيفٌ بَعِيدٌ } : أي بعبادته المؤمنين ، ومن سبق له الخلود في الدنيا ، وما يرى من النعم على الكافر فليس بلطف ، إنما هو إملاء ، ولا لطف إلا ما آل إلى الرحمة والوفاء على الإسلام . وقال مقاتل : لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعاً . وقال الزمخشري : يوصل بره إلى جميعهم ، { يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ } : أي من يشاء يرزقه شيئاً خاصاً ، ويحرم من يشاء من ذلك الشيء الخاص ، وكل منهم مرزوق ، وإن اختلف الرزق ، { وَهُوَ الْقَوِيُّ } : أي البالغ القوة ، وهي القدرة { الْعَزِيزُ } : الغالب الذي لا يغلب . .

ولما ذكر تعالى الرزق ، ذكر حديث الكسب . ولما كان الحرث في الأرض أصلاً من أصول المكاسب ، استعير لكل مكسب أريد به النماء والفائدة ، أي من كان يريد عمل الآخرة ، وسعى لها سعيها ، { نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ } : أي جزاء حرثه أي من جزاء حرثه من تضعيف الحسنات ، { وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ